انتقال السلطة من الأيوبيين الى المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٦٥٨هـ/١٢٥٠-١٢٦٠م)

دراسة تاريخية لأهم المواقف منها

Authority transfer from the Ayyubids to the Mamluks in Egypt and the Levant (648-658A.H\1250-1260A.D)
A historical study of the most important situations

أ.م.د. إلياس أحمد كريم

Asst. prof. Dr. Elias Ahmed Kareem

جامعة كركوك / كلية الآداب / قسم التاريخ

Kirkuk University/ College of Arts / Department of History

E-mail: eliasahmed@uokirkuk.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الأيوبيين، المماليك، السلطة، مصر، بلاد الشام.

Keywords: Ayyubids, Mamluks, Authority, Egypt, Levant.

الملخص

برزت الى الوجود قوة اسلامية على مسرح الأحداث وهم المماليك الأتراك الذين أصبحوا يشكلون قوام الجيش الأيوبي في مصر على عهد السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب، الذي اعتمد عليهم وساندوه في صراعه ضد ملوك اسرته الأيوبيين وتثبيت سلطانه، وسرعان ما أظهر هؤلاء المماليك جدارتهم ومهارتهم القتالية أمام الصليبيين وكبدوهم خسائر جسيمة في صفوفهم وأفشلوا خطتهم ونواياهم للاستيلاء على مصر سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، مما عظم من نفوذهم السياسي حدا يدفعهم الى الانقلاب على السلطة الأيوبية في مصر واستيلائهم على الحكم وذلك بعد اغتيالهم السلطان تورانشاه ابن الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، ثم امتدوا بسلطانهم لتشمل بلاد الشام في السنوات العشرة اللاحقة من حكمهم.

وقد لاقى المماليك مشاكل وصعوبات كثيرة أمامهم لتثبيت سلطتهم الجديدة وتوطيد أركانها، فقد تمخضت عن هذا الانتقال من السلطة ردود فعل ومواقف من أطراف عديدة، فجاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على أبرز المواقف من هذا الحدث التاريخي.

Abstract

An Islamic force emerged on the scene of events, namely the Turkish Mamluks, who became the strength of the Ayyubid army in Egypt during the period of the Ayyubid Sultan Al-Salih Najm al-Din Ayyub, who relied on them and supported him in his struggle against the Ayyubid kings of his family and to establish his authority, soon these Mamluks showed their worth and their fighting skill in front of the Crusader. inflicting heavy losses on them in their army, so they thwarting their plan and intentions to seize Egypt, in the year (647 AH / 1249 AD), which increased their political influence to an extent that pushed them to overthrow the Ayyubid authority in Egypt and seize power, after their assassination of Sultan Turanshah son of Al-Salih Najm al-Din Ayyub in the year (648 AH/1250AD). Then they extended their authority to the Levant in the next ten years of their rule.

The Mamluks faced many problems and difficulties in front of them to consolidate their new authority and enhance it. This transition from power resulted in reactions and positions from many parties, so this study came to show the most prominent positions on this historical event.

تمهيد

شهدت مصر وبلاد الشام خلافات وصراعات داخلية للاستحواذ على السلطة بين أمراء وملوك الأسرة الأيوبية عقب وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)، وقد لجأ كل واحد منهم الى أن يكون لنفسه عصبية يعتمد عليها في صراعه ضد الآخر، فقد أقدموا على استجلاب المماليك الأتراك الى بلادهم وأكثروا في شرائهم واعتنوا بتربيتهم وتدريبهم للاعتماد عليهم والاستعانة بهم في حروبهم وفي صراعاتهم الداخلية، وسرعان ما نمت قوتهم ونفوذهم وأصبحت كلمتهم مسموعة في الأحداث السياسية آنذاك(١).

ويعد السلطان الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الأيوبيين الأقوياء، فقد تمكن من توحيد الدولة الأيوبية من جديد بين مصر وبلاد الشام سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، وذلك بعد عقود عاصفة من الحروب والصراعات المريرة بين ملوك البيت الأيوبي، وقد أدرك أهمية العنصر المملوكي في دولته الذين ساندوه في توطيد سلطانه وتثبيت حكمه الجديد، فأكثر من شرائهم وتربيتهم تربية عسكرية واسند اليهم المناصب والوظائف الرفيعة وأسكنهم في جزيرة الروضة في نهر النيل فأصبحت مقرا لهم وسموا بالمماليك البحرية(٢).

وكانت وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، فاجعة كبيرة للمسلمين ونذيرا بتفكك وانهيار الوحدة السياسية للدولة الأيوبية التي تحققت على يده بعد نضال شاق دام لسنوات عديدة، في وقت تعرضت مصر الى حملة صليبية جديدة قادها الملك الفرنسي لويس التاسع وأحكمت سيطرتها على مدينة دمياط وما حولها، لكن سرعان ما أثبت المماليك البحرية جدارتهم في تلك المرحلة الصعبة أمام الصليبيين حتى أنزلوا بهم هزيمة كبيرة، بعدما أخفت شجر الدر زوجة السلطان الصالح خبر وفاة زوجها مع قلة من الأمراء خشية من انهيار الروح المعنوية لدى المسلمين في تلك الظروف العصيبة(٣).

ورغم وصول تورانشاه الوريث الشرعي لوالده الصالح نجم الدين أيوب الى مصر وتسلمه أمر السلطنة، إلا أنه لم يتمكن من السيطرة على زمام الأمور، فقد دخل في صراع مع زوجة أبيه شجر الدر وكبار أمراء المماليك البحرية والتي انتهت بمقتله على أيديهم سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)(٤)، ثم وقع الاختيار على شجر الدر أرملة الصالح نجم الدين أيوب لتولي أمر السلطنة، وبتوليتها انتقلت السلطة الفعلية من الأيوبيين الى المماليك الأتراك في مصر لتمتد هذه السلطة في السنوات العشرة اللاحقة الى بلاد الشام، وقد جابهت السلطة الجديدة مواقف داخلية وخارجية مختلفة ومن أطراف عديدة، ومن أبرز هذه المواقف:

أولا: الموقف الأيوبي

إن مقتل تورانشاه يعد نقطة تحول في تاريخ مصر الإسلامي، إذ انتقل الحكم فعليا من الأيوبيين الى المماليك الذين أصبحوا أصحاب السلطة في البلاد، وكان الحدث إيذانا بزوال حكم الأيوبيين في بلاد الشام أيضا، ورجح أحد الباحثين أن إجماع الأمراء المماليك على إقامة شجر الدر في السلطنة كانت للحيلولة دون وصول الطامعين من البيت الأيوبي الى الحكم، بوصفها زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب وان الأخير لم يكن لديه وريث شرعي آخر كبديل لتورانشاه الذي لقي حتفه على أيدي أمراء المماليك البحرية(٥).

لم تمر تلك الخدعة على ملوك وأمراء الأيوبيين في بلاد الشام مرور الكرام، وهم يعتقدون أنهم أصحاب الحق الشرعي للبلاد وأن ما جرى في مصر يعدُّ خروجا للسلطة من أيديهم لذلك من الطبيعي أن يتخذوا موقف العداء للنظام الجديد دفاعا عن حقهم الشرعي في السلطة، وأول هذه المواقف جاء من قبل الملك الناصر يوسف(٦)، صاحب حلب، إذ سرعان ما رفض الأمير جمال الدين بن يغمور(٧)، نائب السلطنة في دمشق أن يحلف اليمين لشجر الدر بالسلطنة، أقدم الأمراء الكرد القيمرية(٨)، في دمشق على استدعاء الملك الناصر يوسف وأعلموه بموقفهم الرافض بما جرى في مصر من تغير الحكم وأخذوا يستدعونه لقدوم دمشق وتسليمها اليه(٩)، من جانبه رحب الملك الناصر بهذه الدعوة وخرج من حلب بعساكره قاصدا دمشق فدخلها في العاشر من شهر ربيع الثاني سنة (٦٤٨هـ/الحادي عشر من تموز ١٢٥٠م) (١٠).

وفي جانب آخر استغل هذه الأحداث من قبل باقي ملوك بني أيوب بالشام، فقد خرج الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان(١١)، من مصر قاصدا غزة واستولى عليها، ثم سار نحو قلعة الصبيبة بالشام وسيطر عليها(١٢)، كذلك استولى الملك المغيث عمر(١٣)، على قلعتي الكرك والشوبك واستقل بها وحلف له الناس(١٤)، وبذلك توحد الموقف الأيوبي الرافض للوضع الجديد وانقسمت البلاد الى جبهتين متصارعتين الأولى في مصر متمثلة بالمماليك الذين عملوا جاهدين على اغتصاب السلطة من الأيوبيين وتقوية حكمهم الجديد على البلاد، والثانية في الشام متمثلة بالأيوبيين الذين اعتمدوا في موقفهم الرافض لسلطة المماليك على فكرة أنهم أصحاب الشرعية في حكم البلاد.

وإزاء الموقف الأيوبي الرافض في بلاد الشام لاغتصاب المماليك السلطة من جهة، والموقف المماثل للخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م)، من تولية امرأة سلطنة مصر من جهة أخرى، تحرج موقف شجر الدر من الداخل والخارج، فاتفق رأي الأمراء المماليك على إقامة الأتابك عز الدين أيبك في السلطنة لاحتواء الموقف، بعد أن تتزوج به شجر الدر وتلقب بالمعز أيبك(١٥).

لم يتغير الموقف الأيوبي في الشـــام من اجراءات المماليك بخصـــوص تغير كرســـي السـلطنة وأصـروا على معارضـتهم للسـلطة الناشـئة في مصـر، وتمثل اصـرارهم على القيام بالاسـتعدادات اللازمة للزحف نحو مصـر بهدف اسـتعادة سـلطتهم المسـلوبة اليها، وأمام هذا الاصـرار لجأ الأمراء المماليك في مصـر وعلى رأسـهم السـلطان الجديد المعز أيبك الى خدعة أخرى آملا منها هدم المعارضة الأيوبية وتغيير موقفهم ازاء سلطتهم الفتية في مصر، وهي إقامة صـبي صـغير ينتمي الى الأسـرة الأيوبية في السـلطنة وهو الأمير مظفر الدين موسـى بن الملك المسعود بن الكامل ولم يبلغ من العمر حينها عشر سنوات ليكون شريكا في السلطنة مع المعز أيبك ولقبوه بالملك الأشرف(١٦) .

ورغم إدعاء المماليك بسـلطنة الأشـرف الصـغير وأن يكون المعز أيبك أتابكا له، إلا أن واقع الحال أن الأشـرف لم يكن يمتلك شـيئاً من الحكم والأمور كلها كانت للمعز أيبك بدليل أن السـكة كانت تضـرب باسـمه والخطبة كانت باسـمه على منابر المسـاجد والجوامع في مصـر، والمراسيم والتواقيع كانت صورتها " رسم بالأمر العالي المولى السلطان الملكي الاشرفي والملكي المعزي"(١٧)، وهذا يعني ان اختيار الأشرف لم يكن الا مناورة سياسية الهدف منها احتواء الموقف الأيوبي وإضفاء الشرعية لحكمهم في مصر(١٨) .

على أن تولية الملك الأشرف في السلطنة لم يغير من الموقف الأيوبي في بلاد الشام ولم تثني من عزمهم على مواصـلة اسـتعداداتهم لخوض المعركة المرتقبة مع المماليك مدركين تماما ان الاجراء ليســت إلا محاولة منهم لهدم المعارضـــة الأيوبية في الشـــام، فرفضـــوا الخضـــوع والاستسـلام والتفت الملوك الأيوبيون والأمراء الناقمون على سـلطة المماليك حول الملك الناصـر يوسف وعقدوا العزم والحزم على السير نحو مصر(١٩).

وما أن وصلت نبأ تحركات الملك الناصر يوسف باتجاه غزة تمهيدا لدخول مصر حتى فر من بها من الأمراء وعسـكر المماليك ووصـلوا الى الصـالحية(٢٠)، واتفقوا على إقامة الملك المغيث عمر صـاحب الكرك سـلطانا على البلاد وخطبوا له بالصـالحية(٢١)، وأمام هذا الوضـع المتأزم اضـطربت أوضـاع المماليك في مصـر وشـعروا بخطورة الموقف وان الخطر بات يحدق بهم فدأبوا الى اتباع حيلة جديدة، فقد أعلن الملك المعز أيبك أن البلاد خاضـعة لسـلطة الخلافة وانه ليس إلا نائبا للخليفة العباسـي المسـتعصـم بالله فيها(٢٢)، تنفيذا لوصـية الملك الصـالح نجم الدين أيوب الذي أوصـى قبل وفاته لنائبه الأمير حسـام الدين الهذباني(٢٣)، بذلك(٢٤)، وليس ذلك فحســب بل أقدم المعز أيبك على نقل جثمان الملك الصـــالح الذي كان قد دفن ســـرا في جزيرة الروضـة ولم يعملوا له العزاء من قبل الى القاهرة ودفن في تربة خاصـة بنيت له بجانب مدرسـته التي أنشـــأها بين القصـــرين، وعملت له مراســـيم في غاية البهاء والفخامة وجلس أيبك والأمراء

الكبار في مجلس عزائه ثلاثة أيام[٢٥]، فكانت محاولة منه لشق الصف الأيوبي بإظهاره الوفاء والاحترام للملك الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب.

وفي الوقت نفسه أرسل الملك المعز أيبك قوة عسكرية الى الصالحية للقضاء على الأمراء المتمردين على الدولة والذين بايعوا الملك المغيث عمر بالسلطنة، فتم القضاء عليهم وقبض على زعماء المعارضة واعتقلهم[٢٦].

ان ما جرى في مصر من التدابير لم تغير من الموقف الأيوبي في الشام وعلى رأسهم الملك الناصر الذي حزم أمره وخرج بقواته من دمشق في يوم الأحد ١٥ رمضان سنة (٦٤٨هـ/١١ ديسمبر ١٢٥٠م)، يرافقه ملوك الأيوبيين الكبار[٢٧]، بالإضافة الى عدد كبير من أمراء القبائل الكردية في بلاد الشام، وأسندت قيادة الجيش الى الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني[٢٨].

وعندما سمع الملك المعز أيبك بتحرك الملك الناصر وخروجه من الشام صوب مصر لجأ الى سياسة أخرى بهدف تمزيق الصف الأيوبي والإيقاع بينهم، إذ قام بإطلاق صراح كلا من الملك المنصور محمود وأخيه الملك السعيد عبد الملك أولاد الملك الصالح اسماعيل أقوى شخصيات البيت الأيوبي المشارك في الحملة من السجن وأشاعوا بين الناس انهم اتفقوا مع والدهم الصالح اسماعيل لكي يقعوا بينه وبين الملك الناصر يوسف[٢٩].

كذلك من الاجراءات الأخرى التي اتخذها الملك المعز أيبك وأمراء المماليك في مصر أن أشاعوا بين الناس أنه قد تم الصلح مع الملك المغيث عمر صاحب الكرك، وتم إنهاء الخلافات بين الطرفين[٣٠]، ولم يكن في ذلك شيء من الصحة سوى المحاولة بهدف اضعاف عزم الأيوبيين وعلى رأسهم الملك الناصر على مواصلة زحفهم نحو الديار المصرية.

كل هذه الأمور لم تجد نفعا ولم تغير من الموقف الأيوبي بل زاد العزم والإصرار على المسير نحو مصر لإعادة سلطتهم الضائعة اليها، في حين خرج الملك المعز أيبك بقواته والتقى الطرفان بالقرب من العباسة[٣١]، وأحرز الجيش الأيوبي في بداية المعركة انتصارا كبيرا فقد انكسرت ميسرة جيش المماليك وتفتت شملهم ولاذوا بالفرار من أرض المعركة، وكادت أن تحسم نتيجة المواجهة لصالح الأيوبيين لولا خيانة جماعة من المماليك العزيزية[٣٢]، الأتراك للملك الناصر يوسف الذي كانوا في صفوف قواته وانضمامهم الى جيش المماليك والملك المعز أيبك الأمر الذي رجح كفة الأخير وحسمت المعركة لصالحه[٣٣]، وأجبروا الملك الناصر على الانسحاب نحو الشام منهزما بعد أن وقع معظم قادته من الملوك الأيوبيين وأمراء القبائل الكردية لاسيما القيمرية في أسر الملك المعز أيبك بالإضافة الى مقدم قواته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأميني[٣٤]، ويرجع سبب خيانة المماليك العزيزية للملك الناصر وانضمامهم للملك المعز بدافع

الجنسية كونهم أتراك على حد قول المقريزي[٣٥]، فيما أضاف ابن واصل سببا آخر قائلا " كان في قلوب بعضهم وحشة من مقدم العسكر شمس الدين لؤلؤ، على ما بلغني لأمور عاملهم بها، من الاطراح بهم، وعدم الاكتراث بهم، فمالت انفسهم الى الترك بمصر "[٣٦].

وكان لهذا النصر أثر كبير في تثبيت حكم المماليك ليست في مصر وحدها بل تعدى ذلك الى أجزاء في بلاد الشام، فكان على الملك المعز أيبك أن تجني ثمار هذا النصر، فقد أرسل قوة عسكرية وتمكن من الاستيلاء على غزة[٣٧]، وفي السنة التالية أي (٦٤٩هـ/١٢٥١م)، تمكن من الاستيلاء على الساحل ونابلس الى نهر الشريعة في الأردن[٣٨]، بالإضافة الى اقدامه على خطوة حاسمة أخرى وهي عزل الملك الأشرف الأيوبي وانفراده بالسلطنة[٣٩].

ومن جانبه أرسل الملك الناصر يوسف قوة عسكرية بقيادة الملك الأمجد بن الملك العادل وصلت قرب غزة، بينما عسكرت قوات المماليك في الصالحية واستمر الحال على ذلك الى سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، إذ تمكن الخليفة العباسي المستعصم بالله من عقد صلح بين الطرفين[٤٠]، على أن يكون للمماليك مصر وغزة والقدس ونابلس والساحل ويكون للناصر يوسف بقية أجزاء بلاد الشام[٤١]، وأن يقوم الملك المعز بإطلاق سراح جميع الأسرى من أتباع الملك الناصر[٤٢].

ومن الجدير بالقول، أن الصلح الذي ابرم بوساطة الخلافة لم ينهي الخلافات بين الطرفين ولم يغير من الموقف الأيوبي الرافض تجاه المماليك كونهم مغتصبين للسلطة ولم يكن الصلح الا إرضاء بواقع الحال اثر هزيمتهم في العباسة، وأخذ الأيوبيون في مقدمتهم الناصر يوسف يبحثون عن فرصة جديدة يمكن استغلالها للانتقام من المماليك، وكان لهروب بعض أمراء المماليك البحرية من مصر سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م)، إثر مقتل زعيمهم فارس الدين أقطاي ، على يد الملك المعز أيبك ولجوئهم الى الشام فرصة أخرى للملك الناصر للانتقام من المماليك، فقد تجدد حماسه لخوض جولة جديدة من المواجهة وأخذ يستعد لها، فقد رحب بالأمراء الهاربين وأكرمهم غاية الاكرام، وبدورهم أخذ الأمراء يحرضون الناصر على المواجهة الجديدة[٤٣].

خرج الملك الناصر بقواته من دمشق وعسكر في غور الأردن، بينما عسكرت قوات الملك المعز بالقرب من العباسة، وبقي الوضع على ذلك من دون وقوع المواجهة والاشتباك بين الطرفين إلى أن تمكن الخليفة العباسي وللمرة الثانية من اصلاح الأمر بينهما سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) [٤٤].

وكان احدى بنود الاتفاق هي أن لا يؤوي الملك الناصر عنده أحداً من الأمراء المماليك الهاربين من مصر، مما اضطر هؤلاء الأمراء الى الرحيل من دمشق والتجؤوا الى الملك المغيث عمر صاحب الكرك، الملك الأيوبي الآخر الذي كان يطمح بإرجاع الحكم الأيوبي الى مصر[٤٥].

وفي خضم تلك الأحداث السياسية واجه الملك المعز أيبك مؤامرة أخرى ضده وهذه المرة كانت بقيادة زوجته شجر الدر، فقد ساءت العلاقة بينهما إثر مقتل الأمير أقطاي على يد أيبك وتشتيت شمل فرقة المماليك البحرية والذين على اثرها تركوا مصر ولجؤوا الى الشام، بالإضافة الى سبب آخر وهي سماع شجر الدر خبر عزم أيبك على الزواج من ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ(٤٦)، فقد أثارت حفيظتها وعزمت على التخلص منه، فقامت بتدبير مؤامرة ضده انتهت بمقتله سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) (٤٧)، ولم يلبث أن تمكن المماليك المعزية من الانتقام من شجر الدر وتمكنوا من القبض عليها وقتلها وألقوا بجثتها فوق سور القلعة(٤٨)، ثم أقدموا على تنصيب ابن الملك المعز واسمه نور الدين علي سلطانا عليهم ولم يكن عمره حينها يتجاوز ١٥ سنة ولقبوه بالملك المنصور(٤٩).

ان اضطراب اوضاع المماليك في مصر إثر مقتل الملك المعز أيبك ثم تنصيب الملك الصغير في أجواء من الصراعات والخلافات بين الأمراء من جهة، ولجوء الأمراء البحرية الى المغيث عمر من جهة أخرى قد أوجد فرصة سانحة للأخير لتحقيق مشروعه الهادف نحو غزو مصر وإرجاع الحكم الأيوبي اليها، فقد جهز جيشا وبضمنهم الأمراء البحرية الذي وجد منهم سلاحا يمكنه من تحقيق أهدافه، فكان على رأس الجيش الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، واشتبكت بقوات المماليك الذين كانوا يقودهم الأمير سيف الدين قطز في الصالحية سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، فكانت نتيجة المعركة هزيمة ساحقة لقوات الملك المغيث بعدما وقع كبار الأمراء البحرية في أسر الأمير سيف الدين قطز(٥٠).

ان الهزيمة التي تعرضت لها الملك المغيث لم يغير من موقفه تجاه المماليك، ولم يثنه من عزمه لخوض جولة جديدة من القتال معهم، وبعد أن أكمل استعداداته العسكرية خرج بنفسه سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، والتقى الطرفان قرب الصالحية في معركة حامية انتهت بهزيمة كبيرة للملك المغيث ووقع معظم قواته في القتل والأسر على يد الأمير سيف الدين قطز، وهرب الملك المغيث بمن نجى من قواته عائدا الى الكرك(٥١).

والذي يمكن قوله، ان الفوضى السياسية والمؤامرات في مصر للاستيلاء على السلطة كان بالإمكان استثماره من الأيوبيين في الشام وتوحيد صفوفهم من جديد لإعادة حكمهم الى مصر لولا ظهور الخلافات بينهم لاسيما بين الملك الناصر والملك المغيث، فبعد هزيمة الأخير في موقعة الصالحية انظم الى قواته عدد كبير من الأمراء الشهرزورية(٥٢)، مما أثارت حفيظة الناصر وخشي من نية المغيث، فقرر هو أن يباغته بشن هجوم على قواته في غزة، وكانت نتيجة الاشتباك هزيمة الناصر والعودة الى دمشق(٥٣).

وكـان لهـذا النصـــر أثر كبير في تقويـة عزيمـة الملـك المغيـث وبـدأ الأمراء البحريـة والشـهرزورية يحرضـونه على غزو دمشـق وضـمها الى نفوذه، فأخذ في تعبئة قواته لهذا الغرض، فكانت اللقاء بين الطرفين في قرية أريحا قرب الأردن، ولكن المعركة هذه المرة انتهت لصـــالح الملك الناصـــر وهزيمة ســـاحقة للملك المغيث الذي فر بقواته نحو الكرك[٥٤]، في حين زحف الناصـر وراءه ووصـل الى بركة زيزا[٥٥]، وأقام بها لسـتة أشـهر والرسـل تترد بين الطرفين إلا أن توصـلا الى عقد صـلح سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٩م)، اشـترط فيها الناصـر تسـليم الامراء البحرية اليه، وعندما علم البحرية نية الملك المغيث تسليمهم، هربوا من الكرك ولجأوا الى الناصـر يطلبون منه الصـــفح ويســـتأذنوه الدخول الى دمشـــق، وعلى رأســـهم الأمير بيبرس البندقداري وقلاون، فوافق النـاصـــــر على طلبهم وأذن لهم[٥٦]، أمـا الأمراء الشـــــهرزوريـة فقد غـادروا الكرك واتجهوا الى مصر[٥٧].

ان العقد العاصـف من العلاقات العدائية بين المماليك في مصـر والأيوبيين في الشـام قد خفت وتيرتها بعد أن دقت طبول حرب جديدة في المنطقة شـنتها المغول على العالم الاسـلامي، فبعد اسـتيلائهم على العاصـمة بغداد ومقتل آخر الخلفاء العباسـيين المسـتعصـم بالله سـنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) [٥٨]، واصـلوا زحفهم ووصـلت جحافل قواتهم بقيادة هولاكو الى أطراف الشـام، الأمر الـذي أثـار مخـاوف الجـانبين الأيوبي والمملوكي ووجبـت منهم اتخـاذ الاجراءات اللازمـة لصـدها، فمن جانبه استغل الأمير سيف الدين قطز الفرصـة وأقدم على خلع السلطان المنصـور نور الدين علي من السلطنة ونال هو موافقة كبار الأمراء والعلماء في مصر بتوليه السلطنة[٥٩].

أما فيما يتعلق بالجانب الأيوبي في الشـــام فقد أعلن أكثر ملوكهم وأمرائهم الخضـــوع والاستسلام للمغول، وفيما يتعلق بالملك الناصر فتذكر الروايات التاريخيه انه قد راسل هولاكو في البداية معلنا خضـوعه له وطلب مسـاعدته في إعادة حكمه الى مصـر، ولكن لم يرد هولاكو على هذا الطلب، بل طلب منه الخضـوع والاسـتسـلام دون شـروط[٦٠]، الأمر الذي دفع بالناصـر الى طلب المسـاعدة من خصـمه السـابق فأرسـل الى مصـر لهذا الأمر، ومن جانبه وعده السـلطان الجديد سيف الدين قطز بالمساعدة والنجدة[٦١].

ولكن سـرعة الأحداث والتوغل العسـكري السـريع للمغول في الشـام حالت دون إتمام ذلك التوافق، فقد ســـقطت أغلب مدن الشـــام بيد المغول وأعلن أغلب ملوك الأيوبيين الخضـــوع والاستسلام خوفا على حياتهم وتجنب الخراب لمدنهم[٦٢]، أما بالنسبة للملك الناصر فقد هرب من دمشـق ومعه الأمراء المماليك البحرية صـوب الحدود المصـرية وما أن وصـلوا غزة حتى سـقطت دمشق بيد هولاكو، وعندما وصل الأخبار بذلك انظم المماليك البحرية وعلى رأسهم الأمير بيبرس الى سـيف الدين قطز[٦٣]، ويبدو أن الملك الناصـر لم يتجرأ على الانضـمام معهم بالدخول الى

مصـــر خوفا من انتقام المماليك له، فهرب مع قلة من جنوده دون أن يعرف وجهته حتى علم المغول بمكانه فتم اعتقاله وقتله فيما بعد(٦٤).

وكانت معركة عين جالوت ســـنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، بقيادة ســـيف الدين قطز نقطة حاسمة في تاريخ العلاقات الأيوبية المملوكية، فبعد انتصارهم على المغول في هذه المعركة وقع بلاد الشـــام بأيدي المماليك، وأصـــبحت جزئا من الســـلطنة المملوكية، وأعلن ملوك الأيوبيين خضوعهم لهذه السلطة بشكل نهائي، وأبقى المماليك بعض الملوك الأيوبيين في ممالكهم كنواب لهم، منهم الملك المنصور صاحب حماة، والملك الأشرف موسى صاحب حمص(٦٥)، وكان الملك المغيث عمر صاحب الكرك والشوبك آخر الملوك المناوئين للسلطة المملوكية في الشام الذي بقي محتفظا بمملكته ومستمرا على موقفه العدائي للمماليك الى سنة (٦٦١هـ/١٢٦٣م)، إذ تمكن فيها السلطان الظاهر بيبرس من اعتقاله ومن ثم قتله في نفس السنة(٦٦).

ثانيا: موقف الخلافة العباسية

كانت بلاد مصر والشام بلاد السلطة الأيوبية تعدان جزءا مهما من نفوذ الخلافة العباسية، ورغم أن هذه التبعية للخلافة كانت اســـمية فقط، ولا تتعدى الدعاء للخليفة على منبر المســـاجد والجوامع، ونقش اسم الخليفة على السكة، إلا أن الخلفاء العباسيين اقتنعوا بتلك السيادة الاسمية في تلك المرحلة، إذ لم يكونوا قادرين على تحقيق ما هو أفضـــل، ومن جانبهم أيضـــا فإن ملوك وســـلاطين الأيوبيين كانوا بحاجة الى الشـــرعية والدعم المعنوي للخلافة، رغم أن دور الخلفاء لم يكن تتعدى أيفاد الرسل حاملين حلل التشريف والتفويض بحكم الملوك الأيوبيين البلاد بالإضافة الى وساطة الخلفاء لحل بعض النزاعات والخلافات بينهم(٦٧).

وانطلاقا من هذا المبدأ حاول المماليك الأتراك ومنذ ســـيطرتهم الأولى على مصـــر ســـنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، أن يحظوا حظو الأيوبيين وأن يحصـلوا على تلك الشرعية عن طريق ارسال التقليد والتشريف الخليفي بحكمهم على البلاد، فأمرت شجر الدر أن تضرب السكة باسمها واسم الخليفة المستعصم بالله(٦٨)، كما أمرت بأن تخطب لها وللخليفة على المنابر(٦٩)، لترسيخ مكانتها على البلاد، وكتبت الى الخليفة تطلب منه تأيد حكمها الجديد على البلاد(٧٠).

ورغم أن الخليفة العباسـي المسـتعصـم بالله لم يكن في موقع يحسـد عليه حينها، فقد كانت جحافل جيوش المغول تكتســـح البلاد وتضـــيق الخناق وتطرق أبواب بغداد، إلا أنه رفض تولية امرأة زمام الحكم في مصـر ولم يعترف بها(٧١)، فكان رده حاسـما عندما بعث الي مماليك مصـر يقول " إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فاعلمونا حتى نسير اليكم رجلا " (٧٢).

ويلاحظ من موقف الخليفة العباســي عدم اعتراضــه على انقلاب المماليك على الأيوبيين، فهو لم يحاول اقحام نفسه في صراع الحكم بين الطرفين أو مناصرة طرف ضد طرف آخر، وذلك

بحكم ادراكه بالوضـع المتأزم نتيجة الزحف المغولي على المنطقة من جهة، اضـافة الى مخاطر الوجود الصليبي الذين كانوا يسيطرون على أجزاء مهمة في بلاد الشام من جهة أخرى.

على أية حال، فعند وصـول جواب الخليفة الرافض لتولية شـجر الدر السـلطة في مصـر، أدرك الأمراء المماليك صـعوبة الاسـتمرار والتمسـك بزمام الحكم دون رضـا الخليفة، فاجتمع زعمائهم وقالوا " لا يمكننا حفظ البلاد والملك لامرأة ولابد من اقامة رجل للمملكة تجتمع الكلمة عليه [٧٣]، فاجتمعت كلمتهم على تزويج شـجر الدر من الأمير عز الدين أيبك أتابك العسـكر، وتنازلت له بالسلطنة بعد حكم لم يدم أكثر من ٨٠ يوما فقط[٧٤].

وبعد تسـنم المعز أيبك مقاليد السـلطنة سـعى جاهدا للحصـول على رضـا وموافقة الخليفة العباسـي في بغداد بحكمه البلاد والحصـول على تقليد الخليفة وعمل على تهيئة الأجواء المناسبة لذلك، فعندما شـعر بقرب القوات الأيوبية من مصـر بقيادة الملك الناصـر أراد الاحتماء بالخليفة العباسي وأعلن ان البلاد خاضعة لسلطة الخلافة وانه ليس إلا نائبا له في مصر[٧٥].

من جهة أخرى فان موقف الخلافة في تلك المرحلة لم يكن يتعدى المحاولة في اصـلاح البين بين الطرفين، فعندما احتدم الصـراع بينهم ونتجت عنها معركة العباسـة سـنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، والتي خسرت فيها القوات الأيوبية أظهر الخليفة المستعصم بالله موقفا ايجابيا حينما تدخل في وضـع حد للصـراع الدائر بين الجانبين عندما أرسـل وفدا لحل الخلافات بينهم، فانتهت المباحثات بعقد الصلح في شهر صفر سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م) [٧٦]، بموجبها تكون مصر وجنوب فلسطين بما فيها القدس وغزة وبلاد الساحل للمعز أيبك، وأن تكون الأجزاء الواقعة شمال هذه المنطقة في بلاد الشـام للملك الناصـر يوسـف، وأن يبادر المعز أيبك بإطلاق سـراح جميع الأسرى الأيوبيين الذين وقعوا في أسره في معركة العباسة [٧٧].

وعندما تجدد الخلافات بين المعز أيبك والناصـر يوسـف إثر هروب الأمراء المماليك البحرية الى الشـام والتحاقهم بالملك الناصـر وتحريضـهم له على غزو مصـر، تمكن الخليفة المسـتعصـم بالله من ابرام صـلح آخر بين الطرفين وذلك سـنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) [٧٨]، وبموجب هذا الاتفاق تكون مصر للمعز أيبك والشام للناصر يوسف[٧٩].

ومع ان الصراع المسلح قد انتهت بين المعز أيبك والناصر يوسف بعد هذا الصلح، إلا أن الصـراع قد اتخذت شـكلا آخر فالاثنان شـعرا بالقيمة الدينية والروحية لمنصـب الخليفة وتأثيرها على قلوب الناس فقد سـعى كل طرف الى اسـتجلاب الشـرعية لحكمه في المنطقة، والحصـول على تقليد الخليفة العباسي، فما أن تم تحقيق الصلح حتى بعث الطرفان كلا على حدى رسولهما الى بغداد للحصـول على هذا التقليد[٨٠]، فيما تحير الخليفة من أمره، ثم حسـم موقفه لصـالح المعز أيبك، فقد نجح الأخير في تعطيل خلعة الناصـر وتمكن هو من الحصـول على التقليد

والتشريف من الخليفة بسلطنته على مصر، واكتفى الخليفة بإرسال هدايا للناصر يوسف ووعده بإرسال التقليد له في العام القادم(٨١).

وكان سقوط الخلافة العباسية على أيدي المغول ومقتل الخليفة المستعصم بالله سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، من الأمور المؤلمة في نفوس المسلمين في أرجاء العالم الاسلامي آنذاك، فكان واقع الصدمة مريرة بعد أن وجدوا أنفسهم ولأول مرة بدون خليفة بالرغم من كل مظاهر الضعف التي ظهرت واضحة على الخلافة، لذلك حاول الطرفين الأيوبي في الشام والمملوكي في مصر احياء الخلافة من جديد، فتذكر الروايات التاريخية ان الملك الناصر يوسف ما أن علم بوجود أمير عباسي في دمشق ويدعى أبو العباس أحمد الذي هرب من الغزو المغولي على بغداد حتى استدعاه الى مجلسه في دمشق وفكر في تنصيبه خليفة للمسلمين(٨٢)، ولكن سرعة الأحداث السياسية ووصول القوات المغولية الى بلاد الشام سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٨م)، حالت دون نجاح الفكرة، وبعد وصول السلطان سيف الدين قطز الى دمشق غداة انتصاره على المغول في معركة عين جالوت حاول تنفيذ فكرة الناصر يوسف من جديد، الا أن مقتله على يد الأمير ركن الدين بيبرس حال دون ذلك أيضا(٨٣).

وأخيرا نفذت الفكرة من قبل الأمير ركن الدين بيبرس بعد تنصيبه سلطانا على مصر والشام إثر مقتل سيف الدين قطز، فقد حول الفكرة الى حيز التطبيق فأرسل الى الأمير العباسي أبي القاسم أحمد في الشام يستدعيه الى مصر، فوصل الأخير في رجب سنة (٦٥٩هـ/١٢٦١م)، وبعد أيام قليلة عقد له بيبرس مجلسا من كبار الأمراء والقضاة والعلماء، وتم التأكيد على نسبه العباسي وأعلن عنه خليفة للمسلمين ولقب بالمستنصر بالله (٨٤).

ثالثا: موقف الصليبيين

لم ينس الصليبيون هزيمتهم الكبيرة أمام المسلمين وفقدانهم لبيت المقدس سنة (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، فقد أشعرتهم بخيبة الأمل مما دعى بالمؤسسة البابوية في اوربا الى الدعوة لحملة صليبية جديدة، وأثارت ذلك نداءات في اوربا تدعوا الى هذه الحملة، فاستجاب الملك الفرنسي لويس التاسع لها(٨٥)، وأقدم على شن هجومه الكبير على مصر سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، وعرفت حملته بالحملة الصليبية السابعة، فوصلت قواته مصر وتمكنت من السيطرة على مدينة دمياط في ٢٢من شهر صفر من تلك السنة(٨٦).

ثم واصل الصليبيون تقدمهم في الأراضي المصرية باتجاه مدينة المنصورة وتمكنوا من التوغل فيها، إلا أنهم واجهوا مقاومة عنيفة من قبل المماليك البحرية بقيادة الأمير بيبرس البندقداري، فتم الحاق هزيمة ساحقة بالصليبيين وانسحبوا منها بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة في صفوف جيشهم، وفي هذا الاثناء توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب وكانت وفاته فاجعة كبيرة

للمسلمين[٨٧]، ولكن وصول تورانشاه الى مصر كان له أثر واضح في ارتفاع معنويات المسلمين وآثروا الدخول في معارك ضارية مع الصليبيين، فكانت انتصاره في معركة فارسكور[٨٨]، الشهيرة أكبر هزيمة حلت بالقوات الصـــليبية، وكانت ضـــربة موجعة لهم فقتل الآلاف من جنودهم في ساحة المعركة وتشتت شملهم، ووقع آلاف اخرى من الأسر بضمنهم ملكهم لويس التاسع[٨٩].

ولم يجن تورانشـــاه ثمرة نجاحه الكبير في دحر الصـــليبيين، فقد لقي مصـــرعه على أيدي بعض أمراء المماليك البحرية في شـهر المحرم سـنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، فدخلت شـجر الدر في اجراء المفاوضـــات مع الملك الأســـير بعد أن تمت تنصـــيبها ســـلطانة على مصـــر، وانتهت المفاوضـــات بتوقيع معاهدة صـــلح بين الطرفين، بموجبها يتخلى الصـــليبيون عن مدينة دمياط وكافة الأراضـي المصـرية وإطلاق سـراح الأسـرى المسـلمين، ودفع فدية مالية للمسـلمين مقابل إطلاق سراح الملك لويس التاسع ومدة المعاهدة عشر سنوات[٩٠].

وعندما نشبت الخلافات بين الأيوبيين والمماليك إثر مقتل تورانشاه واستيلاء المماليك على السـلطة في مصـر، اختار الصـليبيون في بلاد الشـام موقف الحياد في بادىء الأمر، رغم رواية تذكر ان الملك الفرنســـي لويس التاســـع وبعد إطلاقه من الأســـر ووصـــوله عكا دعا الى حملة صليبية جديدة ضد مصر مستغلا الخلافات التي برزت الى الوجود بين المسلمين، ولكن نصحوه بعدم جدوى ذلك وقد يتعرض حملته الى ما تعرضت اليها في السابق[٩١].

ويبدوا أن الصليبيين في الشام قد استمروا على موقفهم المحايد هذا حفاظا على نفوذهم في المنطقة بسبب عدم تكهنهم بمجرى الأحداث السياسية، وتذكر بعض الروايات التاريخية ان الملك الناصر يوسف وبعد خسارته أمام المماليك في معركة العباسة سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، قد طلب المساعدة العسكرية من الصليبيين وتحديدا من الملك الفرنسي لويس التاسع، وعرض عليه التنازل عن القدس مقابل ذلك، ولكن الأخير لم يستجب لهذا النداء[٩٢].

ويرى أحد الباحثين ان رفض لويس التاســـع لعرض الملك الناصـــر تكمن في خوفه من مصـير عشـرة آلاف أسـير صـليبي في سـجون المماليك، اضـافة الى تقيده بمعاهدة الصـلح معهم[٩٣]، ولعل هناك ســبب آخر وهو عدم ثقة الملك لويس التاســع بالقدرات العســكرية للملك الناصر وجيشه في مواجهة المماليك خاصة بعد خسارته أمامهم في معركة العباسة.

من جهتهم فان المماليك في مصر خشوا من احتمال تقارب أيوبي صليبي في الشام لذلك بادروا الى اتخاذ عدة خطوات للحيلولة دون ذلك، فقد اجتمع الرأي على ضرورة هدم مدينة دمياط وأسـوارها خوفا من اغتنام الصـليبيين الفرصـة ومحاولتهم الاسـتيلاء عليها من جديد، فتم تخريب المدينة وأسـوارها بالكامل، وقاموا ببناء مدينة اخرى قريبها وسـموها المنشـية وأصـبحت بديلة عن دمياط[٩٤].

ومن الاجراءات الأخرى للمماليك هو اقدام الملك المعز أيبك على اتباع نفس النهج الذي سار عليه الملك الناصر يوسف، وهو الاتصال بالملك الفرنسي لويس التاسع عارضا عليه الاتفاق والتحالف معه ضد الأيوبيين في الشام، فقد طلب منه المساعدة والمناصرة والوقوف بجانبه في صراعه ضد الأيوبيين، وعرض عليه تنازله لهم عن القدس حال استيلائه عليها مقابل ذلك(٩٥)، فيقول ابن كثير بصدد ذلك " ومال الجيش المصري بالفرنج، ووعدوهم أن يسلموا اليهم بيت المقدس إن نصروهم على الشاميين "(٩٦).

ويبدوا أن الصليبيين وعلى رأسهم لويس التاسع كانوا ميالين أكثر للوقوف بجانب المماليك في هذا الصراع، وذلك للأسباب الذي ذكرناه، ولكن بصيغة من الاتفاق تضمن لهم مصالحهم في المنطقة واستغلالها لصالح القضية الصليبية، لذلك وافق لويس التاسع على مبادرة أيبك بعدما أضاف بعض الشروط على المبادرة ، منها إطلاق سراح كل أسراه في سجون مصر ، والتنازل عن بقية الفدية المطلوبة عليه، وأن تكون البلاد التي يتم الاستيلاء عليها مناصفة بينهم ، وأخذ الرسل تتردد بين الطرفين الا أن تم الاتفاق سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) ، وكان من بنود الاتفاق أيضا أن يبعث المماليك رؤوس القتلى الصليبيين المعلقة على أسوار القاهرة، وأن تكون مدة المعاهدة ١٥ سنة(٩٧).

كانت الخطة أن يجتمع الجيشان المملوكي والصليبي في غزة تمهيدا لخوض المعركة الفاصلة ضد الأيوبيين، ليتم بعدها تسليم القدس للجانب الصليبي حسب الاتفاق، ورغم تمكن الصليبيين من الاستيلاء على يافا إلا أنهم فشلوا في الوصول الى غزة بسبب عدم وصول الجيش المملوكي اليها، فقد باغتهم الملك الناصر يوسف بأربعة آلاف مقاتل وتمكن من الاستيلاء على المدينة قبل وصول قوات المماليك اليها(٩٨)، الأمر الذي حالت دون اتصال قوات المماليك بالقوات الصليبية مما أفسدت عليهم خطتهم وهي في مهدها، ورغم ذلك فقد استفاد الجانب الصليبي من المعاهدة فقد تم اطلاق سراح عدد كبير من أسراهم عند المماليك، كما بعثوا اليهم برؤوس قتلاهم المعلقة على أسوار القاهرة(٩٩).

وكان عقد الصلح التي ابرمت بين الملك المعز أيبك والملك الناصر يوسف بوساطة الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، قد خيبت آمال الصليبيين عموما والملك الفرنسي لويس التاسع على وجه الخصوص في تعميق الخلافات والصراعات بين الطرفين الأيوبي والمملوكي، بغية اضعاف الجانبين لتنفيذ مخططاتهم العدوانية على الأراضي الاسلامية، الأمر الذي أثار مخاوفهم من توحيد الصف الاسلامي من جديد وتعرض نفوذهم في المنطقة الى خطر المسلمين، لذلك بادر لويس التاسع الى تحصين وتقوية دفاعات الممالك الصليبية وقلاعهم في بلاد الشام خوفا من تهديد المسلمين لها(١٠٠).

ويبدوا أن مخاوف الصـليبيين كانت في محله فقد عاود الملك الناصـر يوسـف غاراته على معاقلهم في بلاد الشام خاصة في يافا وأرسوف وعكا وصيدا، في حين رد الجانب الصليبي على تلك الغارات بالهجوم على نابلس، وانتهت تلك المناوشـات بعقد صـلح بين الملك الناصـر والملك لويس التاسع وذلك سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) [١٠١]، وبعد مغادرة لويس التاسع بلاد الشام عائدا الى بلاده تم عقد صلح آخر بين الأيوبيين والصـليبيين سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م)، مدتها عشر سنوات فتم التوقيع عليها من قبل الملك الناصـر يوسـف وممثل الملك لويس التاسـع يوحنا ابلين، حاكم مدينة يافا وأنهت المناوشات بين الطرفين[١٠٢].

رابعا: موقف القبائل العربية

لقد اسـتفاد الأيوبيون مدة حكمهم من أفراد بعض القبائل العربية القاطنة في مصـر وبلاد الشـام لاسـيما في مجهودهم الحربي فأعطوا أمرائهم الاقطاعات الكثيرة، وعندما آل الحكم الى المماليك استفادوا من هذا الأمر فطوروه لاسيما في أماكن متعددة من بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية وتخوم العراق، وظهر عندهم منصب أمير العرب في جهازهم الاداري[١٠٣]، فكان من بين القوات التي أوكل اليهم مهمة الدفاع عن مدينة دمياط أثناء الحملة الصـليبية السـابعة عرب بني كنانة[١٠٤]، احدى القبائل العربية القاطنة في بلاد مصر، فقد أوكل اليهم الملك الصالح نجم الدين أيوب هذه المهمة، ولكنهم انسـحبوا أمام جحافل القوات الصـليبية وتخلوا عن دمياط فدخلها الصـليبيون دون مقاومة تذكر، مما دفع بالملك الصـالح الى الانتقام منهم فأصـدر أوامره بشـنق كبار أمرائهم عقابا لذلك[١٠٥].

بعد وفاة الملك الصـالح نجم الدين أيوب واستيلاء المماليك الأتراك على السلطة في مصر واجهوا الكثير من التحديات والمواقف الرافضـة لهم، ومن بين تلك المواقف تمرد بعض القبائل العربية على سلطتهم الفتية في مصر، فقد ظهرت ثورتهم بجلاء عقب مقتل تورانشاه وتولي شجر الدر أمر السلطنة في مصر[١٠٦]، فقد تعاطف العرب في مصر مع الملك الناصر يوسف وأعلنوا تأيدهم له، يدل على ذلك قول المقريزي " فلما ورد الخبر اضـطربت الدولة ورسـم بجمع العربان من الصعيد وضيق على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر " [١٠٧].

وقد التفت العرب المنتفضة حول أحد زعمائها في صعيد مصر وهو الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير نجم الدين علي الجعدي الذي ينتهي نسـبه الى أسـرة عريقة من عرب صـعيد مصـر، وقد نال بعض أبنائها في العصـر الأيوبي شـرف الامارة[١٠٨]، فأعلنوا عن تمردهم على الحكم المملوكي سـنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، وطالبوا بإنهاء حكمهم في مصـر ودعوا بأحقيتهم في حكم البلاد ورددوا شـعارات منها " نحن أصـحاب البلاد "[١٠٩]، و " لا نريد إلا سـلطانا رئيسـا مولودا على الفطرة "[١١٠]، في اشـارة الى المماليك الأتراك الذين ينتمون الى طبقة الرقيق، وكثر

أتباع الأمير حصـــن الدين بعدما التفت حوله عرب البحيرة والجيزة والفيوم حتى بلغ تعدادهم ١٢ ألف فارس(١١١).

وقد ازدادت خطورة الثورة عندما أراد حصـــن الدين أن يدعم موقفه بإعلان تضـــامنه مع الملك الناصـر يوسـف في صـراعه مع المماليك، وليس ذلك فحسـب بل أرسـل اليه يدعوه ويحثه على غزو مصر(١١٢)، ولكن الناصر لم يستطع تلبية الدعوة بسبب عجزه عن القيام بهجوم جديد على مصـر بعد هزيمته في موقعة العباسـة أمام المماليك سـنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، إضـافة الى سـبب آخر وهو تدخل الخليفة العباسـي ومحاولاته المسـتمرة لإنهاء الخلافات وعقد الصـلح بين الطرفين الأيوبي والمملوكي كما أشرنا اليه سابقا(١١٣).

وهذا ما أدعم موقف الملك المعز أيبك من الثورة وتقوية مركزه إذ انصـــرف الى تنظيم الأمور الداخلية وأرسـل الأمير فارس الدين أقطاي للقضـاء عليهم، فتمكن من اخماد تمردهم في منطقة ذروة بالصعيد الأوسط، بعدما وقع الشريف حصن الدين على فرسه وقتل من أتباعه أكثر من ٤٠٠ رجل وانهزم من أرض المعركة، والحق جنود المماليك خسـائر فادحة في صـــفوفهم واستولوا على ممتلكاتهم(١١٤)، ثم اتجهوا نحو القبائل المساندة للثورة لاسيما قبيلتي سنبس ولواته في اقليمي الغربية والمنوفية ونكبوا بهم وسبوا نسائهم وعاملوهم معاملة أسرى الحرب(١١٥).

إزاء تلك المعاملة القاسية من قبل المماليك اضـطر الشـريف حصـن الدين الى الاسـتسـلام وبعث يطلب الصـــلح من الملك المعز أيبك، فوافق الأخير على طلبه ووعده بمنحه الاقطاعات الكثيرة له ولإتباعه العرب، وأن ينظموا الى قواته في محاربة أعدائه لاسيما الملك الناصر يوسف، فانخدع الشريف بهذه الاغراءات وتوجه الى السلطان في بلبيس لإتمام الصلح، وما أن وصل الى قرب دهليزه حتى أمر أيبك بإلقاء القبض عليهم وعلى أتباعه، وانتقم منهم فقتل معظم أتباعه، أما فيما يتعلق بالشـريف حصـن الدين فقد اعتقله وأرسـله الى الاسـكندرية مقيدا، ثم أمر أيبك بزيادة الضرائب على القبائل العربية الذين ساندوا الثورة فانتقم منهم شر انتقام(١١٦).

ويبدوا أن الشـريف حصـن الدين قد تمكن من الهرب من سـجنه فيما بعد، ففي الوقت الذي ينقطع الأخبار عنه بعد اعتقاله تعود المصـادر للحديث عنه في أحداث سـنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)، إذ تمكن السلطان الظاهر بيبرس في هذه السنة من اعتقاله وتم شنقه في الاسكندرية(١١٧).

أما بالنسبة لموقف القبائل العربية في بلاد الشام فرغم أن بعضـها قد التزمت الصمت تجاه الانقلاب المملوكي على الأيوبيين في مصر، إلا أن بعضها الآخر كانت لها موقف الرفض تجاه هذا الحدث، نذكر منهم قبيلة زبيد بزعامة ناصـــر الدين نوفل الزبيدي(١١٨)، التي ســـاندت الملك الناصـــر يوســـف في صـــراعه مع المماليك لاســـيما في حملته العســـكرية ضـــدهم ســـنة

(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) [١١٩]، كذلك ساندت القبيلة في حماية الملك الناصر وأتباعه من وصولهم بسلام الى الشام بعد هزيمتهم في معركة العباسة أمام المماليك في تلك السنة[١٢٠].

كذلك بالنسبة لعرب آل فضل الذين كانوا لهم نفوذ كبيرة في بلاد الشام، فقد تعاونوا مع الملك الناصر يوسف ومع الكثير من الأمراء المماليك البحرية الذين خرجوا عن طاعة المماليك في مصر والتجؤوا الى الشام سنة (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) [١٢١]، بالإضافة الى دعم الأمير عيسى بن مهنا أمير آل فضل للملك الناصر يوسف بهدف تقوية موقفه أمام المماليك عندما أخبره بوجود أمير عباسي في دمشق الذي هرب من بغداد إثر سقوطها بأيدي المغول سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ويدعى أبو العباس أحمد الذي رحب به الناصر وفكر في تنصيبه خليفة للمسلمين من جديد[١٢٢].

كذلك الحال بالنسبة لقبيلة عربية أخرى وهي قبيلة جذام، فقد استقبلت بحفاوة أمراء المماليك البحرية الهاربين من مصر ومنهم الأمير الكبير عز الدين الأفرم الصالحي الذي التجأ الى الأيوبيين في الشام سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) [١٢٣].

ويبدو أن المستجدات التي طرأت على الساحة السياسية واعتبارا من سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، قد غيرت من مواقف الكثير من القبائل العربية وزعمائهم في بلاد الشام، فعقد الصلح الذي أبرم بين الجانبين الأيوبي والمملوكي بوساطة الخلافة العباسية من جهة، وتخلي الملك الناصر يوسف عن الأمراء المماليك البحرية الهاربين من مصر من جهة أخرى، إضافة الى استمرار الصراع السياسي والعسكري داخل البيت الأيوبي أنفسهم لاسيما بين الملك الناصر والملك المغيث، كل ذلك أدى الى تغير موقف القبائل العربية تجاه المماليك، فقد وصل مصر زعماء كل من قبيلة ربيعة وهم الأمير زامل بن علي بن حديثة وأخوه أبو بكر بن علي بن حديثة من آل علي، وأحمد بن حجي أمير آل مرا وأخوته وأولاده، وكذلك الأمير الكبير عيسى بن مهنا أمير آل فضل وأخوته وأولاده، فاستقبلهم السلطان بحفاوة وقدم لهم الكثير من الأموال والهدايا[١٢٤].

خامسا: موقف العلماء والشعراء

عرف عن الأيوبيين حبهم الشديد للعلم وإكرامهم السخي للعلماء وتقريبهم ومشاركتهم لمجالسهم العلمية والأدبية والإغداق عليهم بالأموال والهدايا الثمينة احتراما لهم، زد على ذلك أن معظم ملوكهم كانوا من المستنيرين، فأغلبهم كانوا ذوي عناية بالعلم والأدب والمشاركة فيها وأوشك أن يكون كل واحد منهم إما محدثا أو فقيها أو شاعرا، فمجالسهم كانت تزدان بالعلماء والأدباء وبقيت مكانتهم مرموقة طول مدة حكمهم للبلاد[١٢٥].

وفي مقابل تلك الرعاية الكريمة فإن العلماء بدورهم قد أصبحوا سندا قويا ودعائم لحكمهم في البلاد بما يحضون به من المكانة والنفوذ في نفوس الناس، فعندما وصل تورانشاه آخر

الملوك الأيوبيين الى مصـر بعد وفاة والده الصـالح نجم الدين أيوب كان العلماء والشـعراء أول المستقبلين له في الصالحية وبحفاوة كبيرة، فكان على رأس المستقبلين قاضي القضاة بدر الدين السنجاري(١٢٦)، والمؤرخ ابن واصل، وذلك لمحبة تورانشاه " للفضيلة والاجتماع بالعلماء " على حد قول ابن واصـل(١٢٧)، وفي يوم غد من وصـوله القاهرة كان مجلسـه يكتز بالعلماء والأدباء منهم الخطيب فخر الدين بن القاضـي عماد الدين السـكري(١٢٨)، والخطيب أصـيل الدين الأسعردي(١٢٩)، والمؤرخ ابن واصل، والقاضي بدر الدين السنجاري، والشاعر جمال الدين بن الخشاب(١٣٠)، الذي رحب بالسلطان وهنئه بقصيدة عبر فيها حبه لبني أيوب جاء فيها:

بكم بني أيوب أهل العلى يكسر دين الشرك دين الإله(١٣١)

وتباحث تورانشـاه مع العلماء في تلك المجلس في الشـعر وعلم الكلام والنحو وغير ذلك من المسائل العلمية، فكان معروفا عنه حبه للعلم والعلماء(١٣٢)، ويضيف ابن واصل بهذا الصدد قائلا " كان يمد السماط العام كل يوم، ويحضر سماطه الأمراء والأكابر من المعممين ..... من أهل الفضل والأدباء والشعراء في المعسكر السلطاني، لأنهم وجدوا بالملك المعظم سوق الفضيلة نافقة، فكانوا يحضرون السماط ويجاريهم السلطان في العلم ويباحثهم" (١٣٣).

وبعد أن أقدم المماليك على انقلابهم في مصـر وقاموا بقتل تورانشـاه كان الأمر ثقيلا على قلوب العلماء والشعراء ورثاه بعضهم بقصائد إثر مقتله وفي مقدمتهم الصاحب الوزير جمال الدين بن مطروح قائلا:

خل ذا واندب معي ملكاً ولّـت الدنـيا علـــى أثره
كانـت الدنيا تطيب لنا بـين ناديـــه ومحتضـــره
سلبتـه الملـك أسرتـــه واستـووا غدراً علـــى سُرره
حسدوه حـين فاتـــهم في الشباب الغض من عمره (١٣٤).

كذلك رثاه نور الدين الأسعردي(١٣٥)، في قصيدة، وحرض فيها الملك الناصر يوسف على قتال المماليك واستعادة حكمهم الى مصر قائلا:

فوا أسفي من بعد خفق بنوده تحـف بـه عقبانـه ونسـوره
أحاطت بها نار العدى وأعانـها عليه أخوه البـحر وهـو نظيره
ما ضـره أن قـل ثـــم نصـيره وكان الـى جنات عدن مصيره
ما طال دين الشرك بعد قصوره الى أن خلت بالرغم من قصوره(١٣٦).

ومما زاد من سخط العلماء تولية زمام الأمور في مصر شجر الدر أمر السلطنة، فسرعان ما اضـطربت الأمور في القاهرة وعمت الفوضـى بين الناس، وزاد من خطورة الموقف انضـمام

علماء المسلمين وعلى رأسهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام(١٣٧)، الى العامة في معارضتهم لتولية شجر الدر السلطنة، وكتب كتابا حول ما يبتلى به المسلمون بولاية امرأة(١٣٨).

وبعدما عزم الملك الناصر يوسف على السير نحو مصر لاستعادة حكم الأيوبيين اليها اتهم الكثير من الأمراء في مصر بميلهم الى الأيوبيين، وشهدت مصر اجراءات قمعية ضدهم وتم القبض على كل من عرف عنه موالاته للأيوبيين، وكذلك الحال بالنسبة لعدد من العلماء فقد القي القبض عليهم خوفا من تأثيرهم على العامة، ومنهم القاضي نجم الدين بن شمس الدين(١٣٩) قاضي نابلس، كذلك القي القبض على قاضي القضاة بدر الدين السنجاري وكان معروف بميله للأيوبيين وتم عزله من القضاء(١٤٠)، كذلك القي القبض على القاضي صدر الدين المعروف بقاضي آمد، وكان من كبار قضاة الملك الصالح نجم الدين أيوب(١٤١).

وقد وقف العديد من العلماء والشعراء الى جانب الملك الناصر يوسف عندما عزم على السير نحو مصر لحرب المماليك، وعبروا عن مواقفهم المساندة له ببعض القصائد، منها قصيدة نور الدين الأسعردي محرضا اياه على قتال المماليك قائلا:

وجرد اليهم جرد خيلك ضمرا مسومة نصرا مخجلة غرا
ولا يقدمن الخيل غيرك في الوغى وطعن الورى لا خلق منك به أحرى
وأغرقهم في بحر من دمائهم إذا لبسوا للنقع أردية غبرا
لقد غرهم لما نجوا منك أولا وظنوا الذي كان من جيشهم عذرا (١٤٢).

كذلك انبرى شرف الدين الانصاري(١٤٣)، للغرض ذاته محرضا الناصر لقتال المماليك يوم خروجه من دمشق قائلا:

على طالع الاقبال والسعد والنصر مسيرك محروس الركاب الى مصر
من اخر مجرى النيل في الجري بعدما تكاثر عد الرمل بالجحفل المجر
لنسترجع الإرث التي مطلت به رجال الى أن جئت يا وارث الأمر
فأنت صلاح الدين وابن صلاحه فلا ملك أولى منك بالنهي والأمر (١٤٤).

وعندما وصل الملك الناصر الى العريش وأخذ يستعد لقتال المماليك شجعه شرف الدين الأنصاري بقصيدة أخرى قائلا:

أيا ملكا لم يثن ملكه بظلم الرعايا ولا غشها
ويا أسدا لم يزل بأسه يزيل الكتيبة عن كبشها
لك الحملات حملن العداة على طوعها أو على نعشها
حللت العريش وفي إثره تحل بمصر على عرشها (١٤٥).

وقد تأسف الشاعر نور الدين الأسعردي عند هزيمة الناصر أمام المماليك سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، في قصيدة أخرى قائلا:

الدهر مما جناه اليوم معتذر وسيفك الحاكم السفاك منتصر
وما يضر جواد الخيل كبوته والسيف نبوته إذ يحمد الأثر
أعرضت عن حرب قوم لا خلق لهم والكلب يعرض عنه الضيغم الهصر
فعدت إذ لم تجد كفوا تحاربه يا من لديه ملوك الأرض تحتقر (١٤٦).

وكان لهزيمة الملك الناصر أمام المماليك في العباسة أثر كبير في تعاظم نفوذ المماليك وأقدموا على الانتقام من كل شخص ينتمي الى الأيوبيين وحدثت فوضى داخل مصر الى الحد الذي جعلهم يبطشون بالناس وسلب أموالهم وممتلكاتهم حتى وصف ابن تغري بردي الحالة بالاستهتار بأرواح الناس وكرامتهم قائلا " وفعلوا ما لم يفعله الفرنج بالمسلمين "(١٤٧)، مما جعل الأئمة والعلماء ينكرون هذه الأعمال وأخذ الشعراء ينددون بالمماليك وتصرفاتهم، والقي أحدهم تبعية هذه الأعمال التعسفية على الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي جلبهم الى مصر بقوله:

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك بدولته يا شر مجاوب
قد آخذ الله أيوبًا بفعلته فالناس كلهم في ضر أيوب(١٤٨).

وقد لعب العلماء دورا كبيرا في محاولة الاصلاح بين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام، وفي مقدمتهم الشيخ نجم الدين البادرائي الذي خرج رسولا من قبل الخليفة العباسي المستعصم بالله وقد تكللت جهوده بالنجاح وتم اقرار الصلح بين الجانبين سنة (٦٥١هـ/١٢٥٣م)، وتم الاتفاق على ترسيم الحدود بينهم كما أشرنا الى ذلك مسبقا(١٤٩)، وقد تم تجديد هذا الصلح في سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، وأنهت الحرب بين الطرفين على أن يكون للمماليك مصر وللأيوبيين بلاد الشام، ولم يكن البادرائي وحده في هذا الصلح فقد استعان بجماعة من العلماء والفقهاء وعلى رأسهم قاضي القضاة بدر الدين السنجاري، الذي تولى توقيع الصلح بين الطرفين(١٥٠).

ومن المواقف المشرفة لعلماء المسلمين في سبيل الاصلاح والتوفيق بين حكام المسلمين وتوحيد صفهم أمام الغزو الكبير الذي اجتاح العالم الاسلامي من قبل جيوش المغول وبعد استيلائهم على بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وتحركهم نحو بلاد الشام نذكر دور بعضهم ومنهم ابن العديم الذي توجه الى مصر رسولا من قبل الملك الناصر يوسف الى حكام المماليك طالبا المساعدة والنجدة للوقوف معا بوجه الزحف المغولي(١٥١)، وما أن وصل ابن العديم الى مصر سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٩م)، حتى تم عقد مجلس حضره الملك المنصور بن المعز أيبك وقاضي القضاة بدر الدين السنجاري، والشيخ عز الدين عبد السلام والفقهاء والأعيان

للتشـاور، وتمخض عن المجلس قرارات عديدة أهمها الاسـتجابة لدعوة الملك الناصـر ومسـاعدته في مواجهة المغول، كذلك تم خلع الملك المنصـور وثم تولية سـيف الدين قطز أمر السـلطنة [١٥٢].

وكان دور العلماء والفقهاء وموقفهم واضـح في هذا المجلس بضـرورة توحيد الصـف الاسـلامي للتصـدي للخطر المغولي، وعلى رأسـهم الشـيخ عز الدين عبد السـلام الذي قال " إذا طرق العدوّ بلاد الإسـلام وجب على الناس قتالهم، وجاز لكم أن تاخذوا من الرعيّة ما تسـتعينون به، وجاز للسـلطان أن يأخذ من أموال التجار وأغنياء الناس ما يسـتعان به على تجهيز العسـكر لدفع العدو، لكن بشـرط أن لا يبقى في بيت المال شـيء من السـلاح والسـروج الذهب والفضـة..... وأما أخذ أموال التجار والأغنياء، مع وجود ابقاء ما في بيت المال مما ذكر، فلا يجوز أخذ أموال الرعية بغير حق " [١٥٣]، وبعدما استقرت السلطنة لسيف الدين قطز قام بإرسال القاضـي برهان الدين السـنجاري[١٥٤]، بصـحبة ابن العديم الى الشـام في جواب الملك الناصـر ووعده بالنجدة والنصـرة وإنفاذ المسـاعدة العسـكرية اليه[١٥٥]، ولكن سـرعة الأحداث السـياسـية والعسكرية واجتياح المغول لبلاد الشام حالت دون وصول تلك المساعدة.

وبعد انتصـار المماليك على المغول في موقعة عين جالوت سـنة (٦٥٨هـ/١٢٥٨م)، اصبحت بلاد الشام ضمن الحدود الجغرافية للمماليك وبمثابة إقرار شرعية حكمهم عليها، وانتهاء حكم الأيوبيين فيها، وخضـع من تبقى منهم للسـيادة المملوكية فأقدم السـلطان سـيف الدين قطز على تقسـيم الشـام الى نيابات عديدة تابعة للسـلطة المركزية في مصـر[١٥٦]، ولم يبق معارض للأمر الواقع إلا الملك المغيث عمر صـاحب الكرك الذي رفض الخضـوع لهذا الأمر، وبقي على موقفه مسـتقلا في منطقته الى أن وصـل الظاهر بيبرس الى السـلطة، إذ تمكن من القبض عليه وقتله[١٥٧]، والذي يهمنا بهذا الصـدد هو موقف العلماء ورجال الدين من هذا الحدث، فتذكر الروايات التاريخية أن السـلطان بيبرس سـار الى ناحية الكرك سـنة (٦٦١هـ/١٢٦٢م)، بهدف القضـاء على الملك المغيث، ولم يجد الأخير مفرا الا الاسـتسـلام والمثول أمام السـلطان، فأتهمه السـلطان بالخيانة والاسـتنجاد بالمغول وكشـف المكاتبات التي دارت بينهم وفيها التحريض من جانبه للمغول على غزو الشام ومصر، وحتى يتمكن بيبرس من الحصـول على شرعية قتله لجأ الى العلماء والفقهاء، فعقد مجلسا لهم بهدف الحصول على فتواهم بقتله، فأصدر العلماء والفقهاء فتوى بشـرعية ذلك ووقع عليه الحاضـرون في مجلسـه وبضـمنهم القاضـي ابن خلكان، فأرسـل السـلطان مقيدا الى القاهرة وتم قتله[١٥٨]، وبموت المغيث انتهت حكم الأيوبيين في مصـر وبلاد الشام نهائيا كحكام مستقلين، ومن تبقى منهم أصبحوا نوابا لسلطة المماليك .

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة الى بعض النتائج:

١-كانت من نتيجة اعتماد الملوك والأمراء الأيوبيين على المماليك في حروبهم وصراعاتهم الداخلية ازدياد نفوذ هؤلاء المماليك وتبوأ الكثير منهم مناصب مهمة في الجيش والقيادة حتى أصبحت كلمتهم مسموعة في الأحداث السياسية لاسيما في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب الذي أكثر من شرائهم وتوسع في استخدامهم في صراعاته وتدعيم أركان دولته.

٢-تعاظم نفوذ وقوة المماليك في مصر بعد وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب وغياب وريث شرعي قوي له في مصر، وبعدما أظهر هؤلاء المماليك جدارتهم في الوقوف بوجه الزحف الصليبي على مصر وتكبدوهم خسائر جسيمة لاسيما في معركة المنصورة.

٣-لم يكن تورانشاه بالشخص المناسب للسيطرة على زمام أمور السلطنة الأيوبية، فقد كان غريبا عن مصر وأحوالها ولم يقدر على التعامل مع الوضع الجديد فأعرض عن مماليك أبيه وأساء اليهم واستبعدهم بل تنكر حتى لزوجة أبيه شجر الدر وتوعدها بالسوء والانتقام مما أثار حفيظة هؤلاء ولجأوا الى اغتياله.

٤-لم يكن الموقف الأيوبي موقفا موحدا في التصدي

٥-للانقلاب المملوكي ولم يتمكنوا من استغلال المواقف المعارضة الأخرى لهم واستثمارها لصالحهم مما أدى الى فشل محاولاتهم المتكررة لإرجاع سلطتهم المسلوبة.

٦- ان أكثر مواقف الجهات المعارضة للانقلاب المملوكي والتي ذكرناه في البحث قد خفت وتيرتها تدريجيا لاسيما بعد تعرض المنطقة الى خطر جديد تمثل بالغزو المغولي للعالم الاسلامي والتي وجبت عليهم موقفا موحدا لصدها .

٧- ان تعرض الممالك الأيوبية في بلاد الشام للغزو المغولي وسقوط أبرز مدنها بأيديهم من جهة، والانتصار الكبير الذي حققه المماليك على المغول في معركة عين جالوت من جهة أخرى، قد أنهت الحلم الأيوبي بعودة سلطتهم المسلوبة من جديد فخضع من بقى منهم لدولة السلطنة المملوكية في مصر وبلاد الشام.

الهوامش :

(١) عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة:١٩٩٤م)، ص١٠ .

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥ هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٩٩٧م)، ٤٠٥/١ ؛ عاشور: العصر المماليكي، ص١١ .

(٣) ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٢م)، ص٢٨٢ ؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، (بيروت:٢٠٠٤م)، ١٠١/٦ .

(٤) سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، (دمشق:٢٠١٣م)، ٤١٧/٢٢ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ١٢٩/٦-١٣٠ .

(٥) عاشور، سعيد عبد الفتاح: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة:١٩٧٢م)، ص١٨ .

(٦) الملك الناصر يوسف: هو الملك الناصر يوسف بن عبد العزيز بن محمد بن الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولد سنة (٦٢٧هـ/١٢٢٩م)، تولى حكم مدينة حلب بعد وفاة والده سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م)، ثم مدينة دمشق سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م)، قتله هولاكو بعد اجتياح المغول لبلاد الشام سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)، اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت٧٢٦ هـ/١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة:١٩٩٢م)، ١٣٤/٢-١٣٥ ؛ الحنبلي، أحمد بن ابراهيم (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م): شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، (بغداد:١٩٧٩م)، ص٤٠٨-٤٠٩ .

(٧) جمال الدين بن يغمور: هو الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك، ولد في صعيد مصر سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، كان من الأمراء المقدمين خبيرا في الأمور السياسية والادارية، تولى نيابة مصر في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم نائبا له في دمشق، توفي سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م)، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق، بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، (بيروت:٢٠٠٣م)، ٩٢/١٥ .

(٨) القيمرية: نسبة الى قيمر، وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط، وكان سكانها من الكرد واليها ينسب الأمراء الكرد القيمرية. ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، (بيروت:١٩٩٥م)، ٤٢٤/٤ ؛ وللمزيد عنهم ينظر، صديق، جوتيار تمر: الكرد القيمرية، دار تموز، (دمشق:٢٠١٦م)، ص٢٧-٤٢ .

(٩) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٣٧/٦ .

(١٠) ابو شامة: الذيل على الروضتين، ص٢٨٥ .

(١١) حسن بن العزيز عثمان: هو الملك السعيد حسن بن عثمان بن أبي بكر بن أيوب، استولى على قلعة الصبيبة بعد وفاة أخيه الملك الظاهر سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، قتل على أيدي المماليك سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٨م). الحنبلي: شفاء القلوب، ص٣٦١ ؛ ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، (دمشق:١٩٨٦م)، ٥٠٥/٧-٥٠٦.

(١٢) المقريزي: السلوك، ٤٦٢/١ .

(١٣) الملك المغيث عمر: هو الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل بن الكامل بن الملك العادل بن نجم الدين أيوب، استولى على قلعتي الكرك والشوبك بعد مقتل الملك المعظم تورانشاه، قتل بأمر من السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م). ابن العماد: شذرات، ٥٣٧/٧-٥٣٨ .

(١٤) مؤلف مجهول، (ت بعد ٦٥٥هـ/١٢٥٧م): تاريخ دولة الأكراد والأتراك (تاريخ دولة الأكراد)، تحقيق، موسى مصطفى الهسنياني، مطبعة جامعة دهوك، (دهوك:٢٠١٠م)، ص٤٩٤ .

(١٥) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت:١٩٩٦م)، ١٨٠/٢ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٦٤/١ ؛

William Muir: The Mameluke or, Slave Dynasty of Egypt, (London:1896), p.8.

(١٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٤٢/٦ ؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة:دت)، ٥/٧ ؛

Lane Poole: A History of Egypt in the Middle ages, (Landon:1968) , p255 .

(١٧) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٥٦/١ .

(١٨) المقريزي: السلوك، ٤٦٤/١ .

(١٩) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٥٤/٦ .

(٢٠) الصالحية: وهي قرية مصرية تقع في آخر الحدود المصرية باتجاه الشام. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي الفزاري (ت٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق، يوسف علي طويل، دار الفكر، (دمشق:١٩٨٧م)، ٤٢٣/١٤ .

(٢١) مؤلف مجهول: تاريخ دولة الأكراد، ص٤٩٥ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، ١٤٢/٦ .

(٢٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٥٦/١ .

(٢٣) حسام الدين الهذباني: من الأمراء الكرد المقربين من الملك الصالح نجم الدين أيوب واستاداره، ثم تولى نيابة السلطنة له في مصر، ولد في مدينة حلب سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م)، وأصله من مدينة أربيل، توفي سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٨م). أبو شامة: الذيل، ص٣١٨ ؛ اليونيني: ذيل مرآة، ٨٣/٢ .

(٢٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٠٠/٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٣٢٨/٦ .

(٢٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٤٣/٦-١٤٤ .

(٢٦) المقريزي: السلوك، ٤٦٥/١ .

(٢٧) من الملوك الأيوبيين الذين انظموا الى حملة الملك الناصر: الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك، والملك المعظم تورانشاه بن صلاح الدين وأخوه نصرة الدين، والملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص، وأولاد الملك الناصر داود وهم كل من الملك الظاهر شادي والملك الأمجد حسن والملك الأمجد تقي الدين عباس. ابن واصل: مفرج الكروب، ١٥٤/٦-١٥٥ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٦٦/١ .

(٢٨) مؤلف مجهول: تاريخ دولة الأكراد، ص٤٩٦ .

(٢٩) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٨٠/٢ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٦٧/١ .

(٣٠) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٥٨/٦ .

(٣١) العباسة: وهي بليدة تقع في الديار المصرية على حدود الشام، سميت عباسة الى بانيها عباسة بنت أحمد بن طولون. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٧٥/٤ .

(٣٢) المماليك العزيزية: نسبة الى والد الملك الناصر الملك العزيز محمد بن غازي بن السلطان صلاح الدين، وقد انتقلوا الى خدمة الناصر بعد وفاة والده سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م). أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت٧٣٢هـ/١٣٢١م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (القاهرة:دت)، ١٨٤/٣ ؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٨١/٢ .

(٣٣) العيني، بدر الدين محمد (ت٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق، محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة:٢٠٠٩م)، ٤٠/١ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٨/٧ ؛ William muir: the mameluke.p.9.

(٣٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ٤١٥/٢٢ .

(٣٥) السلوك، ٤٦٧/١ .

(٣٦) مفرج الكروب، ١٥٦/٦ .

(٣٧) العيني: عقد الجمان، ٤٤/١ .

(٣٨) المقريزي: السلوك، ٤٧٥/١ .

(٣٩) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٧٩/٦ .

(٤٠) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ٤٢٣/٢٢ ؛ العيني: عقد الجمان، ٥٣/١ .

(٤١) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٧٥/٦ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٧٩/١ .

(٤٢) ومن بين الذين تم اطلاق سراحهم: الملك تورانشاه بن صلاح الدين، وأخوه نصرة الدين، والملك الأشرف صاحب حلب، والأمير شهاب الدين بن حسام الدين القيمري، وأولاد الملك الصالح اسماعيل. مؤلف مجهول: تاريخ دولة الأكراد، ص٥١٢ .

(٤٣) ابن عبد الظاهر، محي الدين عبد الله بن رشيد الدين (ت٦٩٢ هـ/١٢٩٢م): الروض الزاهر في سيرة الملك

الظاهر، تحقيق، عبد العزيز الخويطر، (الرياض:١٩٧٦م)، ص٥٥ ؛ ومن بين الأمراء الأتراك الكبار الذين لجأوا الى دمشق: الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري، والأمير سيف الدين قلاون، والأمير شمس الدين سنقر، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدي. المقريزي: السلوك، ٤٨٤/١ .

(٤٤) اليونيني: ذيل مرآة، ١٢/١ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ١٢/٧ .

(٤٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٥٦-٥٧ ؛ أيوب، محمد شعبان: دولة المماليك، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع، (القاهرة:٢٠١٥م)، ص٨٣ .

(٤٦) بدر الدين لؤلؤ: هو الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأرمني الأتابكي، كان مملوكا للملك نور الدين أرسلان شاه السلجوقي ثم أصبح مدبرا لولده القاهر مسعود، وبعد وفاة القاهر أصبح بدر الدين أتابكا لولده إلا أن استقل بالسلطنة في الموصل، توفي سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٨م). ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤ هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار احياء التراث العربي، تحقيق، علي شيري، (بيروت:١٩٨٨م)، ٢٤٨/١٣ ؛ ابن عماد: شذرات، ٥٠٠/٧ .

(٤٧) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٩٤/٦-١٩٥ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٩٣/١-٤٩٤ .

(٤٨) ابن اياس، محمد بن أحمد الحنفي المصري (ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق، محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة:١٩٧٥م)، ج١،ق٢٩٤/١ .

(٤٩) المقريزي: السلوك، ٤٩٥/١ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٤١/٧ .

(٥٠) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٥٩ ؛ اليونيني: ذيل مرآة، ٩٠/١ .

(٥١) أبو الفداء: المختصر، ١٩٥/٣ ؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٩٢/٢ .

(٥٢) الشهرزورية: نسبة الى شهرزور وهي منطقة السليمانية الحالية في شمال العراق، وهم طائفة من الكرد فروا من مناطقهم أمام هجمات المغول ولجأوا الى دمشق بعد سقوط بغداد وبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف، فسر بهم الملك الناصر وقربهم إلا انه سرعان ما تدهورت علاقته معهم فرحلوا الى الغور وانضموا الى الملك المغيث عمر. المقريزي: السلوك، ٥٠٠/١ .

(٥٣) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٩٥/٢ ؛ المقريزي: السلوك، ٥٠٥/١ .

(٥٤) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٩٦/٢ .

(٥٥) بركة زيزا: من قرى البلقاء يطؤها الحجاج ويقام لهم سوق بها، وفيها بركة كبيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ١٦٣/٣ .

(٥٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٥٩/٦ ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٦٧٧/١٤ .

(٥٧) المقريزي: السلوك، ٥٠٥/١ .

(٥٨) أبو الفداء: المختصر، ١٩٣/٣ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): تاريخ الخلفاء، اعتنى به وعلق عليه، محمود رياض الحلبي، دار المعرفة، (بيروت:٢٠٠٤م)، ص٤٠٦-٤٠٧.

(٥٩) العيني: عقد الجمان، ٢٢٠/١ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٧٣/٧ .

(٦٠) العيني: عقد الجمان، ٢١٧/١ .

(٦١) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٠٢/٦ .

(٦٢) ابن تغري بردي: النجوم، ٧٦/٧ .

(٦٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٦٧/٦ ؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٩٧/٢ .

(٦٤) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٨٠/٦ ؛ المقريزي: السلوك، ٥١٩/١ .

(٦٥) المقريزي: السلوك، ٥٣٦/١ .

(٦٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص١٥٠ ؛ ابو الفداء: المختصر، ٢١٦/٣-٢١٧ .

(٦٧) الحايك، منذر: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الأوائل للنشر والتوزيع، (دمشق:٢٠٠٦م)، ٣٢٥/١-٣٢٦ .

(٦٨) ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق، مهدي النجم، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٣م)، ص١٩٣ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٥٩/١ .

(٦٩) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة:١٩٦٧م)، ٣٦/٢ ؛

Lane Poole: A History of Egypt .P.256.

(٧٠) أيوب: دولة المماليك، ص٧٠ .

(٧١) ابن اياس: بدائع الزهور، ج١،ق٢٨٧/١ .

(٧٢) المقريزي: السلوك، ٤٦٤/١ ؛ ابن اياس: بدائع الزهور، ج١،ق٢٨٧/١ .

(٧٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٤٠/٦ .

(٧٤) العيني: عقد الجمان، ٣٤/١ ؛ ابن اياس: بدائع، ج١،ق٢٨٧/١ .

(٧٥) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٨٠/٢ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٦٤/١ .

(٧٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٧٥/٦ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢١٥/١٣ .

(٧٧) اليونيني: ذيل مرآة، ٥٦/١ ؛ المقريزي، السلوك، ٤٧٩/١ .

(٧٨) مؤلف مجهول: تاريخ دولة الأكراد، ص٥٢٣ ؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١ هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، (القاهرة:١٩٩٢م)، ٢٦٩/٨ .

(٧٩) المقريزي: السلوك، ٤٨٩/١ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ١٢/٧ .

(٨٠) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٨٩/٦ .

(٨١) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ١٨٧/٢ .

(٨٢) الذهبي: تاريخ الاسلام، ٦٩٧/١٤ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤١٢ ؛ عاشور: مصر، ص١٧٩ .

(٨٣) الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/١٣٦٣م): كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء الثامن الموسوم (الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية)، تحقيق، اولرخ هارمان، (القاهرة:١٩٧١م)، ٨٧/٨ .

(٨٤) اليونيني: ذيل مرآة، ٩٦/٢ ؛ ابن عبد الظاهر، ص١٠٠ .

(٨٥) باركر، ارنست: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة:١٩٦٠م)، ص١٥٣ ؛ شعبان: دولة المماليك، ص٥٦ .

(٨٦) للمزيد عن هذه الحملة ينظر: أبو شامة: الذيل، ص٢٨١-٢٨٢ ؛ الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع الموسوم (الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب)، تحقيق، سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة:١٩٧٢م)، ٣٦٩/٧ ؛ زيادة، محمد مصطفى: حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة:١٩٦١م)، ص١٠٧-١٠٨ .

(٨٧) المقريزي: السلوك، ٤٣٩/١ .

(٨٨) فارسكور: قرية في مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٢٢٨/٤ .

(٨٩) ابن العميد، المكين جرجيس بن أبي المكارم (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م): أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة:دت)، ص٣٨ ؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٤٦ ؛ الدواداري: كنز الدرر، ٣٧٩/٧ .

(٩٠) ابن العميد: أخبار، ص٣٩ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٣٦٨/٦ .

(٩١) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٣٤/٦ .

(٩٢) يوسف، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور، دار النهضة العربية، (بيروت:١٩٨١م)، ٢٧٤/٢ ؛ أيوب: دولة المماليك، ص٧٦ .

(٩٣) عاشور: مصر، ص٥٣ .

(٩٤) الدواداري: كنز الدرر، ١٥/٨ ؛ العيني: عقد الجمان، ٣٧/١ .

(٩٥) العيني: عقد الجمان، ٨٠/١ .

(٩٦) البداية والنهاية، ٢١٥/١٣ .

(٩٧) يوسف: العدوان الصليبي، ٢٧٨/٢ .

(٩٨) العيني: عقد الجمان، ٨٨/١ .

(٩٩) يوسف: العدوان الصليبي ، ٢٧٨/٢ .

(١٠٠) يوسف: العدوان الصليبي، ٢٨٠/٢ .

(١٠١) برجاوي، سعيد أحمد: الحروب الصليبية في المشرق، دار الآفاق الجديدة، (بيروت:١٩٨٤م)، ص٥٨٠ .

(١٠٢) برجاوي: الحروب الصليبية، ص٥٨١ .

(١٠٣) أيوب: دولة المماليك، ص٨٥ .

(١٠٤) بنو كنانة: احدى القبائل العربية الذين استوطنوا جنوب فلسطين ولهم بطون عديدة وتم استيطانهم في دمياط وما حولها بعدما هاجروا الى مصر من قبل الوزير الفاطمي طلائع بن رزيك. القلقشندي: صبح الأعشى،

٤٠٤/١ .

(١٠٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ٧٥/٦ ؛ أبو الفداء: المختصر، ١٧٩/٣ .

(١٠٦) أيوب: دولة المماليك، ص٨٤ .

(١٠٧) السلوك، ٤٦٦/١ .

(١٠٨) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق، عبد المجيد عابدين، عالم الكتب(القاهرة:١٩٦١م)، ص١٠ .

(١٠٩) المقريزي: السلوك، ٤٧٩/١ .

(١١٠) ابن تغري بردي: النجوم، ١٣/٧ ؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ٣٨/٢ .

(١١١) المقريزي: السلوك، ٤٨٠/١ .

(١١٢) المقريزي: البيان والإعراب، ص١٠ ؛ السلوك، ٤٧٩/١ .

(١١٣) الحايك: العلاقات الدولية، ٤٠٠/١ .

(١١٤) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت٧٣٣هـ/١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة:٢٠٠٢م)، ٤٢٩/٢٩ ؛ المقريزي: البيان والإعراب، ص١٠ .

(١١٥) المقريزي: السلوك، ٤٨٠/١ .

(١١٦) المقريزي: السلوك، ٤٨٠/١-٤٨١ .

(١١٧) النويري: نهاية الأرب، ١٢٦/٣٠ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٦٩/٤ .

(١١٨) ناصر الدين نوفل الزبيدي: كان من الأمراء العرب الكبار في بلاد الشام وله الحرمة والمكانة بين العرب، توفي سنة (٦٧٥هـ/١٢٧٦م). اليونيني: ذيل مرآة، ٢٣٢/٣ .

(١١٩) المقريزي: السلوك، ٤٦٩/١ .

(١٢٠) النويري: نهاية الأرب، ٣٧٨/٢٩ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٨/٧ .

(١٢١) العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، (أبو ظبي:٢٠٠٢م)، ٣١٤/٤ .

(١٢٢) الذهبي: تاريخ الاسلام، ٦٩٧/١٤ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤١٢ ؛ عاشور: مصر، ص١٧٩ .

(١٢٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون، تحقيق، خليل شحادة، دار الفكر، (بيروت:١٩٨٨م)، ٤٣٤/٥ .

(١٢٤) العمري: مسالك الأبصار، ٣٣٩/٤ .

(١٢٥) حمزة، عبد اللطيف: الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، دار الفكر العربي، (القاهرة:١٩٦٨م)، ص١٤٩ .

(١٢٦) بدر الدين السنجاري: هو القاضي أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن علي السنجاري، ولد سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)، تولى قضاء مدينة بعلبك في عهد الملك الأشرف موسى الأيوبي، ثم تولى قضاء مدينة

سنجار، اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب وأصبح قاضي قضاة مصر، توفي سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م). ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، (بيروت:١٩٦٨م)، ٢٦٦/٦ ؛ اليونيني: ذيل مرآة، ٣٣٦/٢ ؛ وللمزيد عنه ينظر بحثنا الموسوم، القاضي بدر الدين السنجاري سيرته ودوره في الدولتين الأيوبية والمملوكية الأولى، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة تكريت، عدد٣٠، سنة ٢٠١٧ ، ص٢٠٠-٢٠٤ .

(١٢٧) مفرج الكروب، ١١٦/٦ .

(١٢٨) فخر الدين بن عماد الدين السكري: هو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي، القاضي والخطيب فخر الدين بن قاضي القضاة عماد الدين عبد الرحمن السكري المصري، ولد سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، كان قاضيا وخطيبا عادلا كبير القدر، توفي سنة (٧٨٧هـ/١٢٨٨م). النويري: نهاية الأرب، ١٦١/٣١ ؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٥٩٥/١٥ .

(١٢٩) أصيل الدين الأسعردي: هو القاضي أصيل الدين محمد بن ابراهيم بن عمر الأسعردي، سكن دمشق وتولى فيها خطابة الجامع الكبير، ثم انتقل الى مصر وتولى فيها خطابة جامع الصالح طلايع بن رزيك، وتولى نيابة القضاء عن القاضي بدر الدين السنجاري، توفي سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م). الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤ هـ /١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الارناؤط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، (بيروت:٢٠٠٠م)، ٥/٢ .

(١٣٠) جمال الدين بن الخشاب: لم أعثر على ترجمة له.

(١٣١) ابن واصل: مفرج الكروب، ١١٧/٦ .

(١٣٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٣١/٦ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٥٠/١ .

(١٣٣) مفرج الكروب، ١١٩/٦-١٢٠ .

(١٣٤) اليونيني: ذيل مرآة، ٢١٥/١ ؛ الصفدي: الوافي، ٢٧٥/١٠ .

(١٣٥) نور الدين الأسعردي: هو محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم، الأديب الشاعر ولد سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م)، كان من كبار شعراء الملك الناصر يوسف ومن المقربين منه، توفي سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م). الذهبي: تاريخ الاسلام، ٨٤١/١٤ .

(١٣٦) محمود، فادي عبد الرحيم: الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز، أطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٠ ، ص١٢٢ .

(١٣٧) عز الدين بن عبد السلام: هو الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، ولد سنة (٥٧٧هـ/١١٨٢م)، تفقه ودرس وأفتى وبرع في المذهب، توفي سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م). الصفدي: الوافي، ٣١٨/١٨ .

(١٣٨) السيوطي: حسن المحاضرة، ٣٦/٢ .

(١٣٩) نجم الدين بن شمس الدين: هو القاضي نجم الدين محمد بن القاضي شمس الدين سالم، المعروف بقاضي

نابلس، ولد سنة (٥٩٠هـ/١١٩٣م)، كان صدرا كريم الأخلاق كبير القدر عند الملوك لاسيما الملك الصالح نجم الدين أيوب، توفي سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م). الصفدي: الوافي، ٧١/٣ .

(١٤٠) ابن واصل: مفرج الكروب، ١٣٩/٦ ؛ المقريزي: السلوك، ٤٦٥/١ .

(١٤١) المقريزي: السلوك، ٤٦٦/١ .

(١٤٢) محمود: الحركة الشعرية، ص١٦٥ .

(١٤٣) شرف الدين الأنصاري: هو عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد الدمشقي، ولد سنة (٥٨٦هـ/١١٩٠م)، قرأ القرآن ودرس الأدب منذ صباه، وحدث في حماة ودمشق ومصر، وكان أحد الفضلاء المشهورين، توفي في مدينة حماة سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م). اليونيني: ذيل مرآة، ٢٣٩/٢-٢٤٠ .

(١٤٤) الأنصاري، شرف الدين عبد العزيز بن محمد (ت٦٦٢هـ/١٢٦٣م)، : ديوان شرف الدين الأنصاري، تحقيق، عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، (دمشق:١٩٦٧م)، ص٢١٢ .ابن واصل: مفرج الكروب، ١٥٥/٦ .

(١٤٥) الأنصاري، شرف الدين: الديوان، ص٢٧٣ .

(١٤٦) محمود: الحركة الشعرية، ص١٦٤ .

(١٤٧) النجوم الزاهرة، ٩/٧ .

(١٤٨) السيوطي: حسن المحاضرة، ٣٤/٢ .

(١٤٩) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ٤٢٣/٢٢ ؛ العيني: عقد الجمان، ٥٣/١ .

(١٥٠) المقريزي: السلوك، ٤٨٩/١ ؛ كريم: القاضي بدر الدين، ص٢٠٤ .

(١٥١) أبو الفداء: المختصر، ١٩٩/٣ ؛ ابن كثير: البداية، ٢٤٩/١٣ .

(١٥٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٦٢/٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ٧٣/٧ .

(١٥٣) ابن تغري بردي: النجوم، ٧٢/٧-٧٣ ؛ ابن اياس: بدائع، ج١،ق٣٠٢/١

(١٥٤) برهان الدين السنجاري: هو القاضي برهان الدين خضر بن الحسن السنجاري، ولد سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م)، وهو أخو القاضي المشهور بدر الدين السنجاري، تولى قاضيا في مصر أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم تولى الوزارة سنة (٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، توفي سنة (٦٨٦هـ/١٢٨٧م). الصفدي: الوافي، ٢٠٧/١٣ ؛ السبكي: طبقات، ٣١٧/٤ .

(١٥٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ٢٦٣/٦ .

(١٥٦) أيوب: دولة المماليك، ص١٢٥ .

(١٥٧) اليونيني: ذيل مرآة، ١٩٣/٢ ؛ النويري: نهاية الأرب، ٨١/٣٠ .

(١٥٨) ابن واصل: مفرج الكروب، ٣٦١/٦ ؛ المقريزي: السلوك، ٥٥٠-٥٥١ .